الأستاذ: النذير ضبعي

السنة: الثانية ليسانس

المادة: الأسلوبية وتحليل الخطاب

التخصص: ثانية دراسات أدبية

المحاضرة رقم: 03

عنوان المحاضرة: الأسلوبية البنيوية

الأسلوبية البنيوية:

تعد الأسلوبية البنيوية أكثر المذاهب الأسلوبية شيوعاً، وهي امتداد لمذهب شارل بالي في الأسلوبية الوصفية أو التعبيرية، وكذلك هي امتدادا لآراء دي سوسير الشهيرة التي قامت على التفرقة بين اللغة والكلام، وقيمة هذه التفرقة تكمن في التنبه لوجود فرق بين الأسلوب باعتباره طاقة كامنة في اللغة بالقوة يستطيع المؤلف استخراجها لتوجيهها إلى هدف معين، وبين دراسة الأسلوب الفعلي في ذاته؛ أي الأسلوبية، فهناك مقابلة بين اللغة والكلام مع الأسلوب والأسلوبية، فاللغة ظاهرة مجردة، والأسلوب طاقة كامنة في اللغة، أما الكلام فهو تجسيد فردي للغة والأسلوبية هي تطبيق على الأسلوب. فهناك فرق بين مستوى اللغة ومستوى النص[1].

فهذا التطور الذي عرفته الدراسات الحديثة انطلاقا من اللسانيات الوصفية التي أرسى دعائمها (دي سوسير) جعل أثرها يمتد إلى مجالات عدة كالنقد، والأسلوبية وغيرهما، وخاصة في مجال توظيف المصطلحات التي ترتبط بالتحليل الأدبي، ومن بينها مصطلح البنية الذي أصبح يمثل اتجاها نقديا عرف بالبنيوية التي "تسعى إلى تحليل الأسلوب من خلال التركيب اللغوي للخطاب، فتحدد العلاقات التركيبية للعناصر اللغوية في تتابعها ومماثلتها وذلك بالإشارة إلى الفروق التي تتولد في سياق الوقائع الأسلوبية ووظائفها في الخطاب الأدبي"[2].

وتهدف الأسلوبية البنيوية إلى معالجة النص انطلاقا بنيتها وتلك العلاقات التي تربط نسيجها الداخلي، والتي تتحكم في هذه النصوص، سواء كانت صوتية أو صرفية أو تركيبية.

فهي تحاول اكتشاف القوانين التي تنظم الظواهر الأساسية في الخطاب الأدبي"[3]، وتسعى إلى تحديد النص من خلال العلاقات الموجودة بين مستويات الأسلوب في النص الأدبي، فالعلاقات اللغوية هي المرتكز الأساسي في تحليل النصوص"[(4)].

ذلك لأنها لا تمارس إقصاءً إجرائيا لمكون لغوي على حساب مكون آخر، لأن الدلالات اللغوية تتآلف في كل متكامل لتشكل الخصوصية الفنية والجمالية للنص الأدبي ويتم تلقيها بهذه الطريقة حيث "إن العمل الفني تنظيم معقد تتعدد فيه المعاني والعلاقات، واللغة تكتسب جماليتها من خلال خروجها عن الدائرة التقريرية إلى لغة إيحائية"[(5)]

و يعتبر "ميشال ريفاتير" من أبرز الباحثين في الدراسات الأسلوبية البنيوية، فقد قدم العديد من الأفكار والمبادئ التي تفاعلت بمجملها مع أفكار غيره من الباحثين في مجال الأسلوبية البنيوية، ووضع مجموعة قيمة من الأسس استطاعت أن تشقّ طريقها وتثبت ذاتها.

وقد ركز ريفاتير على جملة من القضايا الهامة، وتكلم عن عدد من الظواهر الأسلوبية البارزة في النص، ولفت إلى الجمل التي تستوقفنا كقراء وتلفت انتباهنا، معتبراً أن الأسلوب يعد إبداعا من المنشئ وإرجاعا من المتلقي ، فالمبدع يسعى للفت انتباه المخاطب والوسيلة هي شيفرات تستوجب كشفاً من القارئ.
ويرى ريفاتير أن الأدب شكل راق من أشكال الإيصال وأن النص الإبداعي ما أن يتم خلقا ويكتمل نصا حتى ينقطع عن مرسله لتبقى العلاقة بين الرسالة والمستقبل زمنا لا ينتهي دوامه. وهو بذلك خالف جاكبسون الذي يهتم بالمرسل والمرسل إليه وينصب اهتمامه بالدرجة الأولى على القارئ دون أن ننسى الوظيفة الشعرية.[6]

ويعرف ريفاتير الأسلوب بأنه: " إظهار عناصر المتوالية الكلامية على اهتمام القارئ " وتظهر من كتابات ريفاتير أن الأسلوبية ما هي(سوى هذا التأثير المفاجئ الذي يحدثه اللامتوقع في عنصر من السلسلة الكلامية بالنسبة إلى عنصر سابق). ويستشهد ببيت شعر لكوريني: (هذه عتمة مضيئة تسقط نجوما) ويقول : هذه مفارقة غير متوقعة.[7]

وإذا كان الحديث عن القارئ لا يكون إلا على أساس اعتباره عنصرا فاعلا في العملية التحليلية للنصوص الأدبية وهو ما جعل (ميشال ريفاتير) يقترح تسمية له تمثلت في القارئ النموذجي أو القارئ العمدة إذ يقول إن استجابة القارئ العمدة لا تعني الباحث الأسلوبي كاستجابات قيمـة بل إن أحكامه بالاستحسان أو عدمه يجب إسقاطها من الحساب، وإنما تنحصر فائدته في تعيين الوقائع الأسلوبية لا تفسيرها، ويبقى التفسير مهمة الباحث الأسلوبي نفسـه ونجاحـه في التفسير موقوف على إدراكه للبنية الأساسية للنص"[(8)]، فالقارئ العمدة يجب أن يتسم بمقدرة أدبية متميزة وذوق جمالي مُدرب وحذق يستند على مرجعية ثقافية قوية تمكنه من الغوص في أعماق النصوص، وإدراك مجموع الاستجابات للنص بما يتناسب وقيمة الظاهرة الأسلوبية.

[1] أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، ص 33.
[2] - نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، مرجع سابق، ص 89.
[3] - نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، مرجع سابق، ص 89.
[4] - نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، مرجع سابق، ص 93.
[5] - المرجع السابق، ص 94.
[6] - ينظر: طارق البكري، الأسلوبية عند ميشال ريفتير

[8] - ينظر: شكري محمد عياد: اتجاهات البحث الأسلوبي، دار العلوم، جدة، السعودية، ط1، ص 16.